********************•******************

♦

حَقِيقَةُ التّوَكلِ والتّطَيّرِ

وأثَرُهمَا عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمعْ

♦

بقلم

أبِي عِمَادْ الأثَرِي



****************** • ******************

•بسم الله الرحمن الرحيم•

* فاتحة القول*

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده فلا مُضِل له و من يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

*********************•*******************

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذا إخوة الإيمان مبحث جد مهم في باب من أبواب العقيدة ألا وهو معرفة حقيقة التوكل وما يُضَادّه من التطيّر المُوقِع في الضِّيق والشِّرك.

****************** • *******************

*********************•*******************

لذا رأيت من الأهمية بمكان أن أفصّل في هذا الباب بعض الشيء؛ فإننا نرى كثيرا من إخواننا اليوم ضُعفاء في هذا الباب، وصار أغلبهم يتشاءمون ويتطيّرون لأسباب قد تَعرِضُ لهم، فيُصابون بالضعف والفشل والخوف. فتراهم يتركون كثيرا من أعمالهم التي شرعوا بالعمل فيها، لِضَعفِ توكلِهم على ربهم ، لاسيما مع ضعف إيمان أهل الزمان الذين يعيشون معهم، مما يزيد الطين بلّةً، والأمر شدةً.

******************* • *******************

*******************•******************

كما أننا نرى كثيرا من الناس يُعلِّقُ عدم نجاحِ كثيرا من مصالحه وأعماله بحَسَدِ الآخرين تارة، وبإصابته بالعين تارة أخرى.

وهذا حقيقة سببه يرجع بالدرجة الأولى إلى ضعف توكل العبد على الله عزوجل وسوء ظنِّه بربه، وإلا فلو تعلق قلبه بربه حقًّا وصَدَقَ في توكّلِه عليه وحَسُنَ ظنه به وتدبّرَ معنى قوله جلّ وعلا :

{وإِنْ يَمْسَسْكَ الله بضُرٍّ فلا كاشِفَ لَهُ إلا هِوَ وإن يمسَسْكَ بخيرٍ فهُوَ عَلَى كلِّ شَيءٍ

****************** • ******************

***********************•*******************

قَدِير}.[سورة الأنعام : 18] فإنه لا يَضُرّهُ ذلك البتة ولم يَدخلُه ضيقٌ ولم يحزن على ما أصابه.

فلما يرى الشيطان فساد اعتقاد العبد في هذا الباب، يطمعُ في إضلاله، وإيقَاعِه في أن يُسيء الظن بربه، بل ويُنْسيهِ أن الله سبحانه هو المُدبِّر لشؤون عباده، وأن في تقديره سبحانه ومشيئته حِكمة ولطف كما في قوله تعالى : {إنّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إنه هُو العليم الحكيم} [يوسف: 100].

****************** • *******************

فيظلّ الشيطان يتدرج مع العبد في إفساد عقيدته في هذا الأمر حتى يُوقِعُهُ في الشرك من حيث لا يدري فيتَكدّرُ عيشُهُ ويضيقُ صدرهُ وهذا نراه كثيرا في مجموعة من الشباب اليوم .

لكن إن سَلِمَ قلب العبد من هذا المرض فجاهد نفسه، وصرفها عن الوساوس والشكوك، مستعينا في ذلك بربه عزوجل مُبتهلا إليه أن يثبت قلبه على اليقين و التوحيد الصحيح، ويَصرِف عنه كل أنواع

********************•******************

الوساوس والشك والشرك صغيره وكبيره حتى ينجو من الشقاء في الدنيا والفوز بالنعيم في الآخرة.

فإذا عرفت هذا أخي الحبيب فالزم غرزك، واحذر أن يظفر بك عدوك فتخسر دنياك وآخرتك فكلما ازددت توكلا على ربك، ازداد فلاحك ونجاحك، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

وقد قسّمْتُ هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام على النحوِ التالي:

****************** • ******************

*********************•*******************

* القسم الأول : يتضمن ثلاث نقاط :

-النقطة الأولى : حقيقة التوكل لغة وشرعا.

-النقطة الثانية : الأدلة التي تأمر به الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة.

-النقطة الثالثة : ثمرات التوكل على الفرد والمجتمع.

*القسم الثاني : يتضمن هو الآخر ثلاث نقاط :

-النقطة الأولى : حقيقة التّطَيّر لغة وشرعا.

****************** • *******************

*******************•*******************

-النقطة الثانية : الأدلة القاضية بتحريمه من الكتاب والسنة.

-النقطة الثالثة : أضرار ومفاسد التطيّر على الفرد والمجتمع.

⁎خاتمة : بينتُ فيها أهمية ما تقدم من هذه المباحث.

نسأل الله التوفيق والرشاد والهُدى والسدادوأن ينفع بهذا المبحث كاتبه وقارئه ويجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه وصلى

*****************•*******************

**********************•*********************

الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو عماد الأثري بعد عصر اليوم 24 من شهر رجب المحرم الفرد عام 1435هـ

******************* • *******************

********************•*******************

* القسم الأول*

1-حقيقة التوكل لغةً وشرعًا :

*أصل التوكل في اللغة مِن وَكَلَ يَكِلُ وُكولا. يُقال : وكَلتُ أمري إلى فلان ألجَأتُهُ وفوَّضتُهُ إليه واعتمدتُ فيه عليه، وَوَكل فلانٌ فلانًا : بمعنى اسْتَكْفَاهُ أمرَه واستنَابَهُ وفوّضه إليه ثقةً بكفايته

ويقال : هذا الأمر موكولٌ إلى رأيِك بمعنى مُفوّضٌ إليه، والوكيل الكفيلُ.

****************** • *******************

والإسم منه التكلان والتوكل وهو إظهار العجز والإعتماد على غيرك. وقيل : التعريف بطريق النيابة عن المُوَكِّل. ويُقال : توكلتُ لفلان بمعنى : تولّيتُ له. ويُقال : توكلتُهُ فتوكّل لي.

ومنه فعل اتّكَلَ على فلان في أمره : إذا اعتمدهُ ومنه أيضا قولهم : وَاكَلَهُ مُوَاكلَةً. إذا اعتمَدَ كل واحِدٍ منهما على صاحِبِهِ.[1]

---

[1] أنظر «مختار الصحاح» و «فتح الباري» 369/11 و«مدارج السالكين» 487/1 و «مفردات القرآن» للأصبهاني و«النهاية» لابن الأثير.

*******************•*****************

*وأما حقيقة التوكل في اصطلاح الشرعِ، فقد اختلفت فيه عبارات العلماءِ من السلف والخلف.

فقال سهل بن عبد الله التّستُري : التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسِل يُقلِّبُه كيف يُريد.[2]

وقال الحسن البصري -رحمه الله-:«إن مِن توَكّلِ العبد أن يكون اللهُ ثقته ».[3]

---

[2] رواه البيهقي في «الشعب» (1311).

[3] رواه ابن أبي الدنيا في «التوكل» (19) وروى نحوه (8) أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

*****************•*****************

********************•******************

وقال ابن عطاء :التوكل أن لايظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقَتِكَ إليها، ولاتزول عن حقيقة السكون إلى الحق -سبحانه- مع وقوفك على الأسباب.[4]

وقال ذو النون المصري : التوكل هو ترك تدبير النفس، والإنخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا عَلِمَ أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

---

[4] **رواه أبو القاسم القشيري في «رسالته» (708).**

******************•******************

*******************•*******************

وقيل : التوكل هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءهُ نافذ واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لابد منه من المطعم والمشرب والتحرّزْ من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين. وهذا المذهب هو اختيار أبوجعفر الطبري وعامة الفقهاء، وذهب إليه أيضا المُحقِّقُون من المُتصوِّفة وأصحاب علم القلوب.كما أفاده القاضي عياض في «شرح مسلم».

*******************•*******************

*********************•*******************

وقال أبوعثمان الحيري : التوكل الإكتفاء بالله تعالى مع الإعتماد عليه. رواه عنه القشيري في «رسالته» (719) .

وقال الإمام أبو حاتم ابن حِبان البُستي صاحب«الصحيح» في كتابه المستطاب «روضة العقلاء» (ص141) : «التوكل هو قطع القلب عن العلائق، برفض الخلائق وإضافته بالإفتقار إلى مُحَوِّل الأحوال سبحانه.

****************** • *******************

******************* • *******************

وقد يكون المرءُ مُوسِرًا في ذات الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سِيّان لا فرق عنده بينهما؛يشكر عند الوجود ويرضى عند العدم.

وقد يكون المرءُ لا يملك شيئا من الدنيا بحيلة من الحِيَلْ وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحب إليه من العدم، فلا يكون هو عند العدم يرضى حالته، ولا عند الوجود يشكر مرتبه.

******************* • *******************

وأنشَدَ الْكَرِيزي :

فلو كانت الدنيا تُنَالُ بفِطنةٍ

وفضْلَ عقول نِلتُ أعلى المراتبِ

ولكنما الأرزاق حظّ وقِسمةٌ

بِملكِ مليكِ لا بِحِيلة طالِبِ»[5]

وقال الإمام المَروَزي : قيل لأبي عبد الله-يعني أحمد بن حنبل-:أي شيءٍ صِدقُ التوكل على الله؟ قال : أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع

---

[5] إلى هنا انتهى كلام الإمام ابن حبّان.

أن يُجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلا».[6]

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله :وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به.

واختلف أهل البصائر في ذلك فقال قائلون : التوكل الصحيح ما كان من بعد الأسباب فإذا جاء السبب إلى المُراد نفع التوكل.

---

[6] **«جامع العلوم والحكم» (ص570).**

**************************•*********************

وقال آخرون كل أمر بيّن الله فيه لعباده طريقا ليسلكوه إذا عرض لهم. فالتوكل إنما يقعُ منهم في سلوك تلك السبيل، والتسبب به إلى المراد فإن فعلوا ذلك متوكلين على الله عزوجل في أن يُنجِحَ سعيَهُم ويُبلِّغَهُم مرادَهم كانوا آتين الأمر من بابه .

ومن جرّد التوكل عن التّسَبّب بما جعله الله سببا لم يعمل بما أُمِرَ به ولم يأتي الأمر من بابه». انتهى[7] .

---

[7] **«شعب الإيمان» (57/2)**

******************** • *********************

**********************•*******************

وقال أبو القاسم القشيري في«رسالته» ص162:

«واعلم أن التوكل محله القلب،والحركة بالظاهر لاتُنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قِبَلِ الله تعالى وإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر فبِتَيسِيرهِ».

وجماع هذا الأمر ما ذكره العلامة الرباني وشيخ الإسلام الثاني ابن القيم الجوزيه -رحمه الله تعالى-في«مدارج السالكين» (483/1) حيث يقول :

******************• *******************

**********************•*******************

«فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصِح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب؛ فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل.

فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الإلتفات شعبة من شعبة قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن ههنا ظن من ظن أن التوكل لايصح إلا

*******************•*******************

برفض الأسباب، وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها فيكون منقطعا منها- يعني من جهة القلب- متّصلا بها - يعني من جهة الجوارح - والله سبحانه وتعالى أعلم».

اقول : فهذا قيد مهم وأساسي ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في صحة التوكل وحقيقته ينبغي ان يُعَض عليه بالنواجد؛ لأن

المؤمن المتوكل على الله حقا يُخلي قلبه من أن يتعلق بسبب من الأسباب ولا يلتفت إلى شيء منها، وإنما يكون اعتماده بكُلِّه وكَلكَلِه على مُسبِّب الأسباب سبحانه وتعالى،[8] وأنه هو الفاعل الحقيقي والمؤثر فيما يرجوه العبد من جلب الخير ودفع الشر وأن الأسباب لاتُغني عنه شيئاً البتة، كما قال جل وعلا في كتابه:

---

[8] **لذا عرّفه التابعي الجليل سعيد بن جبير بقوله : «التوكل جِمَاعُ الإيمان». رواه ابن أبي شيبة(35332) وهناد بن السّرِيْ في «الزهد» (534) وسنده صحيح.**

*********************•*******************

{ولَنْ تُغْنِيَ عَنْكمْ فِئتُكمْ شَيْئًا ولوْ كثُرَت وأن الله معَ المُؤْمنِين} الأنفال : 19.

وقال سبحانه أيضا : {ويوْم حُنَينٍ إذا أعْجَبتْكُم كثْرَكُم فلَم تُغنِ عَنكُم شَيْئا وضَاقَتْ عليكمُ الأرض بما رحُبَت ثم ولّيْتُم مُدبِرين ثم أنْزَل الله سكينتَهُ على رسُوله وعلى المؤمنين} التوبة: 25

ففي كل حال من الأحوال لايُغْنِي عنكم ما تعلقتم به من الأسباب إن لم يكن من الله عَوْنٌ ومددْ.

****************** • *******************

*********************•*******************

وقال ابن حجر مبينا قيدا مهما يضاف الى مقتضى التوكل :

«قال الطبري: قيل: لا يستحق التوكل إلا من لم يُخالط قلبه خوف من شيء البتة... والحق أن من وَثَقَ بالله وأن قضاءه عليه ماضٍ لم يقدح في توكله تعاطي الأسباب إتِّباعًا لسنته - سبحانه- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم»انتهى باختصار

****************** • *******************

⁕ مسألة مهمة :

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام مسألة مهمة يذكرها أهل العلم وهي :

هل تحقيق التوكل يُنافي السعي في الأسباب أم لا؟[9]

أجاب أهل العلم على هذه المسألة وبينوا ما فيها أحسن بيان ونحن ذاكِرون إن شاء الله تعالى كلام المحققين منهم فيها فنقول وبالله نصول ونجول :

---

[9] تقدم معنا قبل قليل كلام ابن القيم على هذه المسألة وأجاد رحمه الله في بيان حقيقتها بعبارة مختصرة.

********************•******************

أشار الله تبارك وتعالى إلى هذه المسألة في كتابه، وأمرنا باتخاذ الأسباب في قوله تعالى : {وتزوّدُوا فإن خير الزاد التّقْوَى} قال حبرُ الأمة وتُرجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : كان أهل اليمن يحجون ولايتزودون، ويقولون : نحن المتوكلون،فإذا قَدِموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى : {وتَزوّدُوا} الآية. [10] »

[10] رواه البخاري في «صحيحه» (1523).

*********************•*******************

قال الإمام البيهقي :« وفي هذا أن الله تعالى أمر زُوَّارَ بيته بالتّزوّدوقال: {إن خير الزاد التّقْوى} يعني-والله تعالى أعلم- فإن خير الزاد ما عَاد على صاحِبهِ بالتقوى.

قال الحلَيمي : وهو أن لا يتوكل على أَزوَادِ الناس فيُؤَذيهم ويُضَيِّقُ عليهم، ومن دخل البادية بلا زاد متوكلا فإنما يرجو أن يُقيض الله تعالى من يُوَاسِيهِ من زادِهِ وهذا عين ما أشارت الآية إلى المنع منه، فبان أنه لا

****************** • *******************

معنى لاستحبابه، وإنما المستحب هو التزود أو الجلوس إذا لم يكن زاد حتى يكون».[11]

وقال الحافظ ابن حجر : «قال المهلّب : في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى، ويؤيده أن الله تعالى مدح من لم يسأل الناس إلحافا فإن قوله : {فإن خير الزاد التّقْوَى} أي تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك.قال :وفيه أن التوكل لايكون مع السؤال وإنما التوكل

[11] **«الجامع لشعب الإيمان» (1198/75/2)**

المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء.

وقيل : هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب كما قال عليه السلام : «إعقِلها وتوكل».[12]

ومما جاء في السنة أيضا مما يؤكد أن اتخاذ الأسباب لا يقدح في حقيقة التوكل قوله صلى الله عليه وسلم :«بُعِثتُ بين يديِ الساعة بالسيف حتى يُعبدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقِي تحت ظلِّ رُمحِي

[12] سيأتي تخريجه.

*******************•******************

وجُعِلَ الذِّلة والصَّغَار على من خالف أمري ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم». [13]

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن رجل جلس في بيته او في المسجد وقال : لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال : هذا رجل جهل العلم. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله جعل رزقي تحت ظلِّ رُمحي». وقال: لو توكلتم على

[13] رواه أحمد (50/2) وغيره وهو حديث صحيح كما تراه مبينا في «إرواء الغليل»(1269) للألباني.

******************* • *******************

********************•******************

الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خِماصا وتروح بِطانا».[14]

فذكر أنها تغدوا وتروح في طلب الرزق، وكان الصحابة يتَّجِرون ويعملون في نخِيلهِم، والقدوة بهم.[15]

قال الإمام البيهقي في«الشعب»(76/2) : «قال الحليمي رحمه الله تعالى : فلو كان انتظار الرزق بالصبر والصمت افضل بما أذِن

---

[14] رواه أحمد (30/1) والترمذي (2344) غيرهما وسنده صحيح.

[15]» فتح الباري» (370/11).

******************* • ******************

الله تعالى فيه لما حرَم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم افضل الوجهين وعرّضه لأَرذَلهِما».

ويقول الإمام الواعظ الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله ولنفاسة كلامه أنقله برمته:

«واعلم ان الذي أمر بالتوكل أمر بالحذر فقال : {خُذوا حِذركُم}. وقال: {وأعِدّوا لهُم ما اسْتطَعتم من قُوّة} الأنفال:61 وقال: {أنَ

اسرِ بعِبادِي ليلاً} وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التوكل لا يُنافي الإحتراز:

عن أنس بن مالك قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم، وترك ناقة بباب المسجد فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها؟ فقال : أطْلَقتُها، توكلت على الله.قال : «إعقِلْهَا وتوكّل».[16]

قال ابن عقيل الحنبلي يظن أقوام ان الإحتياط والإحتراز يُنافي التوكل، وأن التوكل

---

[16] حديث حسن كما هو مبين في كتاب «تخريج مشكلة الفقر» للعلامة الألباني رحمه الله.

هو إهمال العواقب واطّراح التَّحَفّظ، وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتّهجين.

ولم يأمر الله بالتوكل، إلا بعد التّحرّز واستفراغ الوُسع في التّحَفّظْ، فقال تعالى : {وشاوِرْهُم في الأمْرِ فإذا عَزَمْتَ فتَوكّلْ عَلى الله}.

فلو كان التّعَلّق بالإحتياط قادِحًا في التوكل، لما خصّهُ الله نبيه حين قال له:{وشَاوِرهُمْ في الأمْر} وهل المشاورة إلا

استفادة الراي الذي منه يؤخذ التّحفظ والنحرّز من العدو ؟...

ولو كان التوكل ترك التّحرّز، لخُصّ به خير الخلق صلى الله عليه وسلم في خير الأحوال وهي حالة الصلاة-يعني صلاة الخوف-وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذٍ لقوله : {وليَأْخُذوا أسْلِحتَهُم}.

**********************.*******************

فالتوكل لايمنع من الإحتياط والإحتراز، فإن موسى عليه السلام لما قيل له :{إن المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوك} خرج.

ونبينا صلى الله عليه وسلم خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه...وأعطى القوم التّحرّز حقه ثم توكلوا.

وقال عزوجل في باب الإحتياط {لاتقصص رؤياك على إخوتك } يوسف 5. وقال: {لاتدخلوا من باب واحدٍ 66} .وقال : {فامْشُوا فِي منَاكِبهَا } الملك.

****************** . ******************

وهذا لأن الحركة للذبِّ عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى، وكما أن الله تعالى يُريد إظهار نِعَمهُ المُبْدَاة، يُريدُ إظهارَ ودائعُه، فلاوجه لتعطيل ما أودَعَ اعتِمادًّا على ما جادَ به، لكن يجب استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده، وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عُدّةً وأسلحةٍ تدفع عنها الشرور...

وخُلِقَ للآدمي عقلا يقودُه إلى حملِ الأسلحة ويهديهِ إلى التحصين بالأبنية والدّروع.

********************•*******************

ومن عطّل نعمة الله تعالى بترك الإحتراز، فقد عطّل حكمته، كمن يترك الأغدية والأدوية ثم يموت جوعا أو مرضا.

ولا أبْلَه ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء، إنما ينبغي ان تكون اعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوِّض إلى الحق سبحانه وتعالى مُنِع او أُعْطِي، لأنه لايرى إلا الحق سبحانه وتعالى لايتصرّف إلا بحكمة ومصلحة، فمنعه عطاء في المعنى.

*****************• ******************

*******************•*****************

فإن قال قائل : كيف أحترز مع القدَر؟ قيل له : وكيف لا تحْترِز مع الأوامر من المُقدِّر؟ فالذي قدّر هذا هو الذي أمر، وقد قال تعالى : {وخذوا حِذْركُم} النساء:101.

عن سهل بن عبدالله التّسْتُرِي قال : «من طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، ومن طعن على الكسب، فقد طعن على السنة».[17]

---

[17] رواه البيهقي في «الشعب» (1289). وهذا الكلام من سهل من جوامع الكلام في هذا الباب عُضّ عليه بالنواجد.

*****************• *****************

**********************•*******************

وقد بينّا أن التوكل فعل القلب، فلا يُنافِي حركة الجوارحِ، ولو كان كل كاسِب ليس بمُتوكِّل لكان الانبياء غير متوكلين.

وقد كان أبوبكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله عليهم بزّازين (أي يبيعون البَز) وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مِهرَان بزّازِين وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كُرَيز خزّازِين[18]، وكذلك أبوحنيفة وكان سعد بن

[18] أي يبيعون الخز أو يصنعونه وهو نوع من أنواع الثياب .

ابي وقاص يَبْرِي النبل، وكان عثمان بن طلحة خيّاطًا وما زال التابعون ومَن بعدهم يكتسِبُون ويأمُرون بالكَسْب»[19] انتهى كلام ابن الجوزي رحمه الله.

«عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يامعشر القُرّاء ارْفعوا رؤوسكم ما أوضح الطريق فاستَبِقُوا الخيرات، ولا تكونوا كلاّ على المسلمين.

[19] » تلبيس إبليس»(ص368ومابعدها-منتقى الحلبي)

**********************•********************

وقال صالح بن أحمد: سُئِل أبي وأنا شاهد عن قومٍ لايعملون، ويقولون : نحن المُتوكلون فقال : هؤلاء مُبتدِعون.

قال ابنُ عقيل : التّسبب لا يقدح في التوكل؛لأن تَعَاطِي رُتبَةً ترقى على رُتبةِ الأنبياء نقصٌ في الدين.ولما قيل لموسى عليه السلام : {إن الملأ يأتَمِرون بك

******************* • *******************

لِيَقتلُوك}القصص:19خرج.ولمّا جَاعَ واحْتَاجَ إلى عِفّة نفسه أجّرَ نفسَهُ ثمانِ سِنِين»[20] .

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله :«مبينا دور اتخاذ الأسباب في الدين :«أفلا تراهُ لم يستقِم له دينه إلا بالأسباب؟ أوليست حركة أقدامهِ ونقلِها في الطريق والإستدلال على أعلامها إذا خُفِيَت عليه من الأسباب؟

---

[20]» المنتقى النفيس على تلبيس إبليس» (ص378-377) وانظر ما بعدها ففيها فوائد زوائد، وكذا «مدارج السالكين» (482/1وما بعدها) لابن القيم.

*******************•*****************

فالتجرد من الأسباب جملة مُمتنع عقلاً وشرعًا وحِسّا».

ويقول أيضا :«فحال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه مِحَكّ الأحوال وميزانُها، بها يُعلم صحيحها من سقيمها فإن همَمُهُم كانت في التوكل أعلى من هِمم من بعدهم. فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب وأن يُعبَدَ الله في جميع البلاد، وأن يُوَحِّدَه جميع العباد...فَملَئُوا بذلك التوكل القلوب هدًى وإيمانًا، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها

***************** • ******************

دار إيمان...فكانت همم الصحابة أعلى وأجل من أن يَصرِف قوة تَوكّلِهِ واعتِمادِه على الله في شيء يُحصّلُ بأدنى حيلة وسَعْي، فيجعلهُ نُصْب عينيه، ويَحمِلُ عليه قِوَى توكّلِهِ».[21]

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي :

«واعلم أن تحقيق التوكل لا يُنافي السّعي في الأسباب التي قدّر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها، وجَرَتْ سنته في خَلقِه

---

[21]» مدارج السالكين» (493-494/1).

*******************•****************

بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعيُ في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به».[22]

« فلاتتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مُقتضيات لِمُسبِّبَاتِها قدَرًا وشرعًا وأن تَعطيلَها يقدحُ في نفس التوكل، كما يقدَحُ في الأمر والحِكمة».[23]

---

[22]» جامع العلوم والحاكم» (ص567).

[23]» زاد المعاد» (15/4)وانظر بقية كلامه للفائدة.

****************** • ******************

*********************•********************

وقال في«فتح المجيد» (ص429) : «فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكلَه عجْزًا ولا عجْزَهُ توكّلاً، بل يجعل توكلَه من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلِّها».

ولعلّ في هذا إن شاء الله تعالى غُنيةٌ لمن رَامَ معرفة ما في هذه المسألة من الحق الذي كان عليه السلف الصالح والأئمة الثقات من بعدهم، حتى يكون المرء على بصيرة من أمره في هذه المسألة لاسيما في هذا الزمان والله المستعان.

******************•*******************

*******************•******************

٭درجات التوكل وأنواعه :

ومما ينبغي الكلام عليه في هذا الباب الإشارة إلى درجات التوكل وأنواعه كما ذكرها بعض أهل العلم.

أما بالنسبة لدرجاته فمنهم من جعلها ثلاثًا كالحافظ ابن رجب في «جامع العلوم» (ص : 572) نقلا عن بعض الحكماء.

*****************•******************

ومنهم من جعلها ثمان درجات كالعلامة ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين»

أما ابن رجب فقال :«قال ابن أبي الدنيا : بلغني عن بعض الحكماء قال : التوكل على ثلاث درجات : أولها : ترك الشكاية. والثانية : الرِّضا. والثالثة : المحبة.

فترك الشكاية : درجة الصبر . والرضا : سكون القلب بما قسّم الله له. وهي أرفع من الأولى. والمحبة : أن يكون حبّه لِما

يصنعُ الله به. فالأولى : للزاهدين.والثانية: للصادقين والثالثة: للمُرسلين»[24]

قال ابن رجب : «فالمتوكل على الله إن صبر على ما يُقدِّره الله له من الرزق أو غيره، فهو صابر، وإن رضيَ بما يُقدِّر له بعد وُقوعهِ فهو الراضي. وإن لم يكن له اختيار بالكلية ولارِضا إلا فيما يُقدِّر له، فهو درجة المُحِبِّين العارفين.كما كان عمر بن عبد العزيز يقول:

---

[24] **ما نقله ابن رجب عن ابن أبي الدنيا ذكره في كتابه «التوكل» (47).**

أصبحتُ ومالِي سرور إلا في مواضِعِ القضاء والقدر».

أما العلامة ابن القيم فجعل التوكل ثمان درجات

الأولى : معرفة الرب وصفاته. الثانية : إثبات الأسباب والمُسبّبات. الثالثة : تجريد التوحيد في القلب، وتخليصِه من علائق الشرك،وترك الإلتفات إلى غير الله.الرابعة : سكون القلب إلى ربه. الخامسة : حُسن الظن بالله عزوجل. السادسة : استسلام

*********************•*******************

القلب لربه. السابعة : التفويض بإلقاء العبد أموره كلها إلى الله.الثامنة : الرِّضا وهي ثمرة التوكل.

ثم ذكر ابن القيم رحمه الله بعد هذه الدرجة كلامًا لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : «وكان شيخنا رضي الله عنه يقول : المقدور يكتنفه أمران : التوكل قبله والرِّضَا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضِيَ بالمقْضِيِّ له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية».

******************* • *******************

********************•*******************

ثم ختَم ابن القيم الكلام على هذه المراتب بقوله : «فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل، وتثبيتُ قَدمُه فيه، وهذا معنى قول بشر الحافِي : يقول أحدهم توكلتُ على الله، يكذِب على الله، لو توكل على الله لرضِيَ بما يفعله الله به،[25] وقول يحي بن معاذ -وقد سُئِلَ- : متى يكون الرجل مُتوكِّلا؟ فقال : إذا رضِيَ بالله وكيلا».

---

[25] لانه فوّض أمره إلى ربه بتوكله ليختار له الأفضل فيرضى لأنه سبحانه أعلم بمصلحة عبده.

******************•*******************

*******************•******************

*اما أنواع التوكل فثلاثة :

-النوع الاول : التوكل الواجب، وهو افضل انواعه . قال ابنُ القيم : « فأفضل التوكل : التوكل في الواجب، أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس، وأوسعه وأنفعه التوكل في التاثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية وهو توكل الانبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثتهم».

****************** • ******************

******************** • ******************

وبالجملة فتوكل العبد على ربه في جلب المنافع ودفع المضار، أمر لابد للعبد من القيام به[26] و العمل بمقتضاه.

وواجب التوكل من اعظم ثمراته إذهاب كيد الشيطان بالتطير والتشاؤم.

*النوع الثاني : التوكل المحرم وهو على ضِربين الأول : ما يكون شركا أكبر، الثاني : ما يكون شركا الأصغر.

---

[26] » انظر أحكام تهم المسلم» (ص72) الملحق بتفسير العشر الاخير.

****************** • *******************

*********************•*******************

-فالأول : معناه الإعتماد الكلي على مخلوق واعتباره مؤثّرًا حقيقيا مستقلا بنفسه دون الله سبحانه فهو شرك أكبر في توحيد الربوبية؛لأنه أعتقد أن مع الله خالقا مدبِّرا مؤثرا في الأحداث وأن يعتمد على المخلوقين أيضا فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، كتحصيل الولد والخيرات الأخروية ونحو ذلك.

-والثاني : أن يعتقد ما ليس بسبب سببا يعتمد عليه، مع أنه يعتبره غير مستقل

******************•******************

بالتأثير فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب والله لم يجعله سبب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم. : «من علّق تميمة فقد أشرك».[27]

فكونها شركا أن معلِّقها يريد أن يُحصِّل الفائدة من طريقها للحصول على خير ودفع شر بها، وهي ليست سببا حقيقيا في هذا ومن هنا صارت شركا وهكذا».[28]

---

[27] صحيح وهو مخرج في «الصحيحة» (492).
[28] »شرح كتاب التوحيد» (207/1) لابن عثيمين.

ومنه أيضا قول القائل : توكلت على فلان فهذا محرم أيضا؛ لأنه ليس للمخلوق نصيب من التوكل إنما هو خاص به سبحانه.

⁕النوع الثالث : التوكل الجائز وهو أن يُوَكِّلَ الإنسان غيرَه ويعتمد عليه في فعل يقدرُ عليه كالبيع والشراء ونحوُ ذلك.[29]

وبالجملة فالتوكل أصل لجميع مقامات الإنسان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس،

---

[29] **» أحكام تهم المسلم» لمجموعة من العلماء (ص 426) الملحق بتفسير العشر الأخير.**

فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.[30]

فمن توكل على مخلوق في ما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر، ومن توكل على مخلوق فيما يقدر عليه شرك خفي وشرك أصغر؛ لأن التوكل تفويض الأمر إلى من بيده ملكوت كل شيء، والمخلوق ليس بيده ذلك، وإنما هو سبب فيما قدّرهُ الله عليه

---

[30] **« فتح المجيد» (ص426) .**

بأن يجعله شفيعا -مثلا- فلا يُتَوَكّلُ عليه؛ وذلك لأن التوكل عمل القلب فيتوكل على الله ويأتي بالسبب الذي هو الإنتفاع من هذا المخلوق.[31]

2- الأدلة من الكتاب والسنة في الأمر بالتوكل وبيان فضله :

ورد الأمر بالتوكل وبيان فضله في كتاب الله في غير موضع يصل عددها بالتتبع والإستقراء إلى تسعٍ وثلاثين موضِعًا.

[31] » شرح كتاب التوحيد» (ص295) لمعالي الوزير العلامة الشيخ صالح آل الشيخ.

*********************•******************

ومما ورد من ذلك قوله تعالى : {إنّما المُؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلت قلوبُهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتهُم إيمَانا وعلى ربِّهم يتَوكلُونَ} الأنفال: 2.

فكان من أهم صفات المؤمنين التوكل على الله، لذا تقدم عن التابعي الجليل سعيد بن جبير قوله: «التوكل الإيمان كله» بمعنى أنه صفة غالبة لأهل الإيمان.

ومنه قوله تعالى : {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جَمعُوا لكم فاخشوهم فزادهم

****************** • *******************

**********************•*******************

إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وَفَضْل لم يمسَسْهُم سوء واتّبَعُوا رِضْوَانَ الله والله ذو فَضلٍ عَظِيم} آل عمران: 174.

فلما توكلوا على ربهم واستعانوا به، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فألقى الله الرعب في قلوب الكفار ورجع المسلمون بأمن وأمانة لم يمسسهم سوء مما خوفهم الناس منه».[32]

---

[32]» بهجة الناظرين»(150/1) لسليم الهلالي .

ومنه قوله تعالى : {فإذا قَرأتَ القرآن فاسْتعِذ بالله من الشيطان الرّجِيم إنّه ليس له سُلطَان على الذين آمنوا وعلَى ربِّهم يَتوَكلو} النحل: 99.

المعنى : ليس للشيطان حجة على المؤمنين في إغوائِهم ودُعائِهم إلى الضلالة. ومعنى {وعلى ربهم يتوكلون}: يُفوِّضون أمورهم إليه في كل قولٍ وفعل؛ فإن الإيمان بالله والتوكل يمنعان الشيطان من وسوسته لهم، وإن وسوس لأحد منهم، لا تؤثر فيه

وسوستُه...وهؤلاء الجامعون بين الإيمان والتوكل هم الذين قال فيهم إبليس: {إلا عِبادَك منْهُمُ المُخلَصِين}الحجر: 40 ، وقال الله فيهم : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتّبعَك من الغاوين}الحِجر: 42.[33]

والآيات في هذا الباب كثيرة معروفة، وانظر «فتح المجيد»(ص425).

---

[33] «فتح القدير» للعلامة اليماني الشوكاني.

********************•*******************

وأما الأحاديث فمنها ما يلي :

1-حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : هم الذين لا يسترقون ولايتطيرون ولايكتُوُون، وعلى ربهم يتوكلون».[34]

قال العلامة ابن القيم في « زاد المعاد » (495/1) : وإن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم؛ ولهذا نفى عنهم الإسترقاء وهو سؤال الناس أن يَرقوهم، ولهذا

[34] رواه البخاري (5705) ومسلم (218) .

******************* • *******************

********************•*******************

قال : «وعلى ربهم يتوكلون» فلِكمال توكلهم على ربهم على وسكُونهم إليه وثقتهم به، ورضاهم عنه وإنزال حوائجهم به لايسألون الناس شيئًا لارقية ولاغيرها، ولايَحصُل لهم طيرة تصُدّهُم عما يقصدونه، فإن الطِّيرة تُنقِصُ التوحيد وتُضعِفُهُ».

2-وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له : {إن

******************•******************

الناس قد جَمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبُنا الله ونعم الوكيل}»[35] .

ففي الحديث فضل هذه الكلمة العظيمة وأنها قول الخليلان عليهما الصلاة والسلام في الشدائد أنظر «فتح المجيد» (ص430).

3-عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم

---

35 رواه البخاري في «صحيحه»(4513).

كما يرزق الطير، تغذو خِماصًا وتروح بطانًا».[36]

معنى الحديث : أن الطير تذهب أول النهار خِماصًا أي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بِطانًا أي ممتلئة البطون. أفاده النووي في «رياضه» (79-بهجة الناظرين).

بقي معنا النظر في معنى قوله : «حقّ توكله» بمعنى صِدق الإعتماد على الله في

---

[36] رواه الترمذي (2344) وغيره وسنده صحيح على شرط مسلم.

سائر أحوالكم قال المروزي: قيل لأبي عبدالله- يعني ابن حنبل-: «أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال:أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يُجيبُه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً».[37]

وهذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجْلَب بها الرزق، قال الله عزوجل : {ومن يتّق الله يجعَل له

---

[37] » جامع العلوم والحكم» (ص570) .

مَخرجًا ويَرزُقُه من حيثُ لايحتسٍب ومن يَتوَكل علَى الله فهو حسْبهُ} سورةالطلاق : آية 3.[38]

وعليه فمتى حقق العبد التقوى والتوكل لاكتفى بذلك في مصالح دينه ودنياه، لكن بقيَ النظر في معنى حق التوكل وهو يتضمن صدق ويقين في كل شأن من الشؤون، مع الأخذ بالأسباب في طلب النفع ودفع الضر

---

[38] **أنظر المصدر السابق (ص566) .**

وطلب الرزق كالطير تغدوا ولا تقعد عن السعي.[39]

4-عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة إلا بالله فيُقال له حينئِذٍ : وُقِيتَ وهُدِيتَ وكُفِيت. قال : فيتَنحّى له الشيطان،

[39] بهجة الناظرين (1//158) .

فيُلاقيه شيطان آخر، فيقول له : كيف لك برجل وقد وُقِيَ وهُدِيَ وكُفِي».[40]

فالتوكل على الله عزوجل والإلتجاء إليه حِصن حصين يَقِي المسلم كيدَ الشياطين، ولا حول ولا قوة للعبد في كافة أموره إلا بالله.

3-ثمرات التوكل على الفرد والمجتمع :

تكلم الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البُستي صاحب «الصحيح» في كتابه

---

[40] رواه أبو داود (5095) وغيره بسند صحيح كما هو مبين في «عجالة الراغب» (179) لسليم الهلالي.

المستطاب «روضة العقلاء» (ص138) على هذه الثمرات فقال :

«الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكلّف بالأرزاق، إذِ التوكّل هو نظام الإيمان وقربن التوحيد وهو السبب المؤدِّي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحّة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده

بما حَوَتْهُ يده إلا لم يَكِلْه[41] الله إلى عباده وأتاه رزقه من حيث لم يحتسب».

وقد يُهلَكُ الإنسان من وجْهِ أمنِه

وينجُو بإذن الله من حَيث يحْذرُ

أقول : ومن أعظم ثمرات التوكل أن الله سبحانه يحب من توكل عليه واثقًا بتسديده وتأييده سبحانه، وذلك في قوله تعالى : { فإذا عزمت فتوَكل علَى الله إن الله يحِبّ المتوكلين} آل عمران : 159.

---

[41] **بمعنى : لم يتركه .**

*******************•*****************

فلاشك أنه إذا أحب الله العبد، فُتِحَت له أبواب الخير على مصراعيها، وناله التوفيق في معاشه والفوز بالجنة في معادِه.

ومن ثمراته أيضا حسن الظن بالله تعالى فيما قدره لك، ولاشك أن من أحسن الظن بربه ناله الجزاء على قدر ذلك وفي الحديث القدسي : «أنا عند ظن عبدي بي».[42]

وكذلك من ثمرات التوكل الرِّضَا بما قدّره الله لعبده، وإذا رضِيَ العبد بقدر الله رضي

---

[42] رواه مسلم وهو مخرج في «الصحيحة» (1011) (2287).

*****************•******************

الله عنه ونزلت عليه السكينة والطمأنينة، وانشرح صدره، وكانت حياته طيبة وكان التوفيق حليفه في الدنيا فضلا عن النجاة في الآخرة.

روى ابن أبي الدنيا في كتابه «التوكل» (18)عن عبّاد بن منصور قال : سُئِل الحسن البصري عن التوكّل فقال : الرضى عن الله.

ورأى بعض الصحابة رضي الله عنهم صاحبًا له في المنام فسأله ماذا لقي عند

**************************•*******************

ربه. فقال له توكل وأبشر فإني لم أرَ مثل التوكل قط ثلاث مرات.[43]

قال ابن رجب في «جامعه» (ص573):

«واعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء».

لذا قال العلامة ابن القيم :«فإن الرضا باب الله الأعظم ومستراح العارفين وجنة الدنيا فجدير بمن نصح نفسه أن تشتدّ رغبتُه فيه».[44]

---

[43] رواه ابن أبي شيبة (34141) بسند صحيح.

[44]» مدارج السالكين» (545/1) .

**********************•*******************

ومن ثمرات التوكل الجميلة الواضحة التأثير على الفرد : أن صاحِبه يحصل له الأمن والهداية قال تعالى : {الذّين آمنوا ولم يَلبِسوا إيمَانهُم بظلْم أولئك لهُم الأمْن وهُم مُهتَدون} الأنعام :83 سئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الظلم الوارد في هذه الآية فقال : «الشرك»[45] .

ولاشك أن المتوكل على الله حق توكله، ولم يشُوبُه فيه شيء من الشرك، كان له

[45] الحديث في «صحيح الجامع».

******************• *******************

*********************•*******************

الأمن الروحي والمادي وهو في ذلك على هدًى من ربه، جعلنا الله وإياكم كذلك.

أما ثمرات التوكل على المجتمع فهي جليلة وجميلة؛ ذلك أن المجتمع الذي يقوى توكل أفراده على ربهم تسوده الرحمة والرأفة والتّوَاد والتآلُف والتعاون، ونحو ذلك من عظيم الصفات ومحاسن الأخلاق، التي تجلب معها كثيرا من الخيرات من تماسك المجتمع وقوته مما يؤهِّلُه للإنتصار على

******************•*******************

*******************•******************

أعدائه من شياطين الإنس والجن الذين يبغُون خِلال أفراده الفتنة.

ومن ثمراته أيضا على المجتمع قلة الحسد والعداوة والبغضاء بين أفرادِهِ؛ لأن توكلهم على ربهم أوجب لهم الرضا فقنع كل واحد منهم برزقه واطمئن قلبه، فحلت بينهم البركة، وصار مجتمعا قدوةً لغيره كما كان مجتمع الصحابة الأنور رضي الله عنهم وأرضاهم.[46]

---

[46] لذا صح في الحديث : «لاخير في قوم يتحاسدون». والحديث في «صحيح الترغيب» وغيره.

******************* • ******************

القسم الثاني

1-حقيقة إلتّطيّر لغةً وشرعًا :

التّطيّر لغةً مصدر تَطيّرَ، يقال : تطيّر طِيرةً.

والطيرة بالشيء بمعنى التشاؤم به؛ وإنما سُمي تطيّرًا لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون بالطيور فغلب الإسم على كل التشاؤم.[47]

---

[47]» شرح رياض الصالحين» (191/4) لابن عثيمين.

********************•******************

أما معناه من جهة الشرع فهو التشاؤم بالطيور وغيرها سواء كان مرئيًا أو مسموعا، وكان بعض العرب في الجاهلية إذا زجر الطير أو أثاره حتى طار، فإن طار يسارا تشاءم وإن طار يمينا مضى لشُغلِه وسفرِه. فصاروا يتشاءمون بذلك، وكذلك قد يتشاءمون بأنواع من الطيور كالغراب واليوم ونحوها، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه كما يأتي ذكره، وأخبر أن ذلك ليس له أي تأثير في جلب نفع أودفع ضرٍّ.

****************** • ******************

وكذلك كانت العرب تتطيّر وتتشاءم بالزمان وبالسفر في شهر صفر ونحو ذلك.[48]

والطيرة من الشرك المُنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته؛ وذلك لتعلق القلب بها خوفا وطمعا، ومنافاتها للتوكل على الله، فاعتقاد النفع والضر من هذه الأشياء سَخفُ العقُول وفسادُ الفِطرِ وتمكّن الخرافات والجهل وعَمَى القلوب.[49]

---

[48] أنظر المصدر السابق.

[49]» فتح المجيد »(ص366).

فمن لم يُخلِص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك بالوقوع فيما يكره؛ لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده، وهو الذي يجلب النفع ويدفع الشر عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه كما قال تعالى : {ما أصَابك من حَسنةٍ فمن الله ومَا أَصابَك من سَيئَةٍ فمن نفْسِك}سورة النساء 78.[50]

[50]» فتح المجيد» (ص3779).

*********************•*******************

ومن أنواع التطيّر الذي كثُر اليوم، التطيّر ببعض الناس سواء كانوا من الأقرباء أو الأصدقاء، فإذا حدث لأحدهم شيء من المكروه قال: هذا بسبب فلان ونظرة فلان وقول فلان إلى آخره. فهذا أيضا مما لا ينبغي اعتقاده، فإنه من مظاهر الشرك المُنافية لواجب التوحيد وكماله، مما يفتح على صاحبه وساوس الشيطان

2-الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم التّطيّر :

****************** • *******************

-يقول الله تبارك وتعالى :{فإذا جاءتهمُ الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصِبْهُم سيئةٌ يَطيّروا بمُوسَى ومَن مَعه ألا إنمَا طائِرُهُم عند الله، ولكن أكثرَهُم لايَعلمُون} الأعراف : 131.

معنى الآية : أنّ آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة أي الخَصْب والسّعَة والعَافِية قالوا لنا هذه أي نحن الجَدِيرُون به، ونحن نَستَحقّه.

******************** • ******************

وإن تُصِبْهم سيئَة أي بلاء وقحط تطيّروا أي تشاءموا بموسى ومن معه، وأن ذلك بسبب أتباعه، فردّ عليهم سبحانه وعلى أمثالهم فقال :

{ألا إنما طائرهم عند الله} أي مصائبهم وشؤمهم عند الله بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

وقوله تعالى : {ولكن أكثرَهُم لايَعلمُون} أي أكثرهم جُهّال لايدرُون، ولو فَهِمُوا وعَقَلُوا لعلِمُوا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه

****************** • ******************

**********************•********************

السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتّبعه».[51]

يقول العلامة ابن القيم مفسِّرًا الآية :

«فالطائر يُرادُ به العمل وجزاءه، فالمضاف إلى العبد العمل والمضاف إلى الرب الجزاء، فطائركم معكم طائر العمل، وطائركم عند الله الجزاء.

فما جاءت به الرسل ليس سببًا لشيء من المصائب، ولاتكون طاعة الله ورسوله سببا

---

[51] **» فتح المجيد» (ص367) .**

لمُصيبة قط، بل هي لا تُوجِبُ إلا الخير في الدنيا والآخرة، لكن قد يُصيبُ المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب تقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحِقَهُم يوم أُحُدٍ ويوم حُنين، وكذلك ما امْتُحِنوا به من الضّراء وأذى الكفار لهم...».[52]

ومناسبة هذه الآية لهذا الباب : أن هذا التطيّر من صفات أعداء الرّسل وخِصال المُشركين الشركية، وإذا كان كذلك فهو

[52]« شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص326) وانظر بقية كلامه فيه فإنه نفيس.

مذموم، بخلاف خِصال أتباع الرّسل فإنهم يُعلِّقون ذلك بما عند الله من القضاء والقدر، أو بما جعله الله جلّ وعلا لهم من ثواب وعقاب على أعمالهم وهذا هو معنى قوله تعالى : {ألا إنمَا طَائِرهُم عند الله}.[53]

-يقول تبارك وتعالى : {قالوا إنا تَطيّرنَا بكم لئن لم تَنْتهُوا لنرجُمنّكُم وليَمَسنّكُم منّا عذابٌ ألِيم قالوا طائِرُكُم معَكم أين ذُكِّرتُم بلْ أنتُم قومٌ مُسرِفُون}.

---

[53]» شرح كتاب التوحيد» (ص266) لمعالي الوزير الشيخ صالح آل الشيخ.

قالت الرسل لأصحاب القرية لما تطيّروا بهم {طائِرُكُم معَكُم} أي ما يُصيبكُم من الشر والسوء فهو من قِبلِ أنفسكم، وكذلك ما سينزل بكم من العقاب ويُلازِمُكُم بسبب مُعاداتكم لرُسلِه.

ومناسبة هذه الآية للباب كمناسبة الآية قبلها من أن هذه هي مقالة المشركين أيضا لرُسلِ الله ذمّهُم به.[54]

---

[54]» شرح كتاب التوحيد» (ص266) .

**********************•*******************

1-عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطِّيرة شرك، الطّيرة شرك، الطّيرة شرك وما مِنّا إلا، ولكن يُذهِبُهُ الله بالتوكل».[55]

قوله : «الطيرة شِرك» لاعتقادهم ان التّطيّر يجلُبُ لهم نفعا او يدفعُ عنهم ضرا إذا

---

[55] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (909) وأبوداود (3910) واللفظ له وغيرهم والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في «الصحيحة» (429) وقوله : «وما منا... إلخ» قيل أنه مدرج من كلام ابن مسعود، لكن ردّهُ ابنُ القطان وتبعه الألباني = =لأنها مجرد دعْوَى لا دليل عليها وإلى هذا يُشير كلام البيهقي في «الشعب» (62/2) .

*******************•*******************

عَمِلُوا بمُوجِبِهِ، فكأنهم أشرَكوه مع الله في ذلك التاثير.

قوله : (وما منّا إلا) يعني إلا وقد يقعُ في قلبه بعض التطيّر؛ لأن هذا من الشيطان الذي يأتي القلوب فيُغريها بما يُفسِدُها.

قوله : (ولكن الله يُذهِبُهُ بالتوكل) معناه : أنه لما توكل على الله في جلب النفع ودفع الضّر اَذهَبَ الله عنه عَارِضَ التّطيّر ، ولم يُؤاخِذُه به.

*******************•******************

2- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أرجَعتهُ الطِّيرة عن حاجتِه فقد أشرك » قالوا : وما كفارة ذلك يارسول الله؟ قال : « يقول أحدهم: «اللهم لاطير إلا طيْرُك ولا خير إلا خيرُك ولا إله غيرك».[56]

فمن ردّته الطيرة أن يمْضِي إلى حاجته فقد وقع في الشرك؛ لأنه لم يُخلِص في

---

[56] رواه أحمد (220/2) وابن السّنّي في «عمل اليوم والليلة» (93) واللفظ له وسنده جيد كما هو مبين في «عجالة الراغب» (293) للمحقق سليم الهلالي، وانظر أيضاً «الصحيحة» (1065) .

توكّلِه على الله بالتفاتِه إلى ما سِوَاه، فيكون للشيطان منه نصيب .

وقوله : (اللهم لا طير إلا طيرك...إلخ) بمعنى أنه لن يحصُلْ إلا قضاؤك الذي قَضَيتَهُ وقدّرتَهُ على العبد.[57]

3-عن عمران بن حُصين رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

« ليس منا من تطيّر أو تُطُيِّرَ له، أو تَكهّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحرَ أو سُحِرَ له».[58]

---

[57] أنظر «فتح المجيد» (ص379) .

[58] حديث حسن كما في «الصحيحة» (2195).

قوله : (ليس منا) فيه وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر مع العلم بأن السِّحر والكهانة من الكفر، والكَهَانة ادِّعاءُ معرفة الغيب وهم يأخذون من أوليائِهِم من الشياطين .

قوله : (تطيّر أو تُطِيِّرَله) أي فعل الطِّيرة أو قبل قول المُتطيِّرَ له، ومثله في معناه الذي يأتي بعده من الكهَانة والسِّحر. فكل من تلقّى هذه الأمور عمّن تعاطاها فقد برِئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِكونها

شركا كالطيرة، أو كفرا كالكهانة والسِّحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقَبولِ الباطل واتِّباعِه.[59]

4-عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لاطيرة وخيرها الفأل». قيل : يا رسول الله وما الفأل؟ قال : «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».[60]

قوله : (لاطيرة) فيه نفي اعتقاد أنها تنفع أو تضر، فإن الطيرة شيء وهمي يكون في

[59] أنظر «فتح المجيد»(ص357).

[60] رواه البخاري(5755) ومسلم (2223) .

القلب لا أثر له في قضاءِ الله وقدره، ف(لا) هنا نافية للجنس فالمعنى : لاطيرة مؤثِّرة.[61]

قوله : (وخيرها الفأل الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) المعنى الكلمة الطيبة إذا قالها بأنه سيحصُل له كذا وكذا من الخيرات ويذهب عنه الضيق الذي يوحِيه إليه الشيطان، ويُسبِّبهُ في قلب العبد، والشيطان يأتي للعبد فيجعله يتوهم أشياء تضرّه

---

[61]» شرح كتاب التوحيد» (ص267) لمعالي الوزير الشيخ العلامة المتفنن صالح آل الشيخ.

وتُحزِنُه،[62] فإذا فتَح العبد على قلبه باب التفاؤل أبعد عن قلبه باب تأثير الشيطان في النفس.

ثم إن الكلمة الطيبة أو الصالحة التي هي الفأل تكون من باب حُسن الظن بالله جل وعلا بخلاف التشاؤم، فإنه سوء الظن بالله.

---

[62] وهذا يقع للعبد كثيرا كلما ازداد قربُه من الله، فكن من ذلك على حذر، فإذا صبر العبد على ذلك جاءه الفرج والنصر من مولاه، والنصرقرين الصبر.

والعبد مأمور بأن يُحسِن الظن بالله. ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يتفاءل،[63] وكل ذلك من تعظيم الله سبحانه وتعلّقِ القلب به، وأنه لا يُقدِّرُ للعبد إلا ما هو أصلَح له، ولهذا كان الفأل ممدوحا ومحمودا والشؤمُ مذموما.[64]

3-أضرار ومفاسد التّطيّر على الفرد والمجتمع :

---

[63] كما في «صحيح أبي داود» (3920) وهو مخرج في «عجالة الراغب» (291) للهلالي.

[64] أنظر المصدر السابق في الحاشية رقم 59.

*********************•*******************

لا يخفى على اللبيب الصادق أن لهذا التطيّر الذي بيّنا معناه نتائج سيئة على الفرد والمجتمع.

أما بالنسبة لعواقبه السيئة على الفرد فكثيرة، من أخطرها :

وقوع العبد في الشرك بالله، من حيث لا يشعر كأن مع الله غيره يُدبّر معه ما يقع في ملكه تعالى و أن بيده النفع والضر، تعالى الله عن ذلك.

******************* • *******************

*******************•*****************

ومن عواقبه أيضا إساءة الظن بالله سبحانه في ما قدره على عبده، وأنه سبحانه عاجز عن حفظ ورعايته، والله جل وعلا يقول : {وَسِع كرْسيّهُ السّمَاواتِ والأرض ولا يؤُودُه حفظُهُما وهو العَلِيّ العَظِيم} البقرة.

وإذا وَقَع العبد في ذلك عُوقِبَ ولابد[65]، فتجتمعُ عليه البلايا والعقوبات ويكِلُه إلى نفسه ويرفع عنه حفظه؛ لأن الجزاء من

---

[65] **كما صح في الحديث القدسي يقول الله تعالى : «أنا عند ظنِّ عبدي بي، إن خيرا فخير، وإن شرًا فشر». وهو مخرج في «الصحيحة»(1663).**

**********************•********************

جنس العمل، فإذا كان الأمر كذلك كان مصير العبد الهلاك والبوار والعياذ بالله تعالى.

ومن عواقب التطيّر أيضاً على الفرد، أن الشياطين تتسلّط على العبد فيظلّ مفتُونًا، لايدري الحق من الباطل فتنهال عليه الأمراض النفسية ويكتئِب مما يؤثِّرُ على عقيدته ودينه وبدنه نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

******************* • *******************

ومن عواقبه أيضاً : أنه يُوقِع العبد في الخوف من غير الله سبحانه وهذا شرك في الخوف غاية في الخطورة يوقِعُ صاحبه في النار مذموما مخذولا، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

فالشرعُ بطبيعة الحال إذا نهى عن شيء وحرّمه إلا وله من الشر والفساد على العبد في عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما الله به عليم، فاللهم ارزقنا صِدقَ التوكل عليك وحدك لا شريك

*******************•******************

لك، والبُعد عن الطيرة والتطيّر بكل أشكاله وأنواعه.

أما بالنسبة لضرَرِهِ على المجتمع فهو تابع لما قبله، حيث يصيرُ مجتمعًا متفكِّكًا؛ لأن الأمراض قد تخلّلَتْهُ من خلال أفرادِه، فتشتد الخُصومات بين أفراده، وتُسلّط الشياطين عليهم فتُلْقِي العداوة بينهم مما يُؤدِّي إلى وقوعِ جرائم بشِعة كما صِرْنَا نسمعه اليوم ونَراه عن كثَب.

****************** • ******************

********************•******************

ولِنُقْصَان قلوبِ أفرادِه من واجب التوحيد، وضعف تعلّقِ قلوبهم بربِّهم، تُرْفَعُ البركة من أَرزاقِهم وأعمالِهم، فيبقى مجتمعًا غير مُثمِر ولا مُنتِج لِمَا يعود عليه بالنفع في دُنيَاه وآخرته.

وفي الخِتَام أُنوِّه بأهمية هذا الموضوع في عقيدة المؤمن، وعظيم ثمَرَتِه عليه في تحقيق سعادته في المعاشِ والمَعَاد، وكثيرا من الناس اليوم أوتُوا من قِبَلِه وعُوقِبُوا بسببه، لاسيما أن أغلبهم طغَتْ عليهم المادِّيات،

****************** • ******************

حتى صاروا لِما في أيديهم من مال الدنيا الفاني أوْثَقَ عندهم مما عند الله، وهذا إن لم يقولوه بألسنتهم فإنهم يقولونه بلسان حالهم ،هذا مع اشتِدَادْ غُربة الإسلام في هذا الزمان، والله المستعان وعليه التّكلان.

فحلّ بنا الذل كما نرى وتفرّقت كلمة المسلمين وصِرْنا مطمَعًا لأعدائِنا، واجتمَعُوا على إهلاكُنا ونهبِ خيراتنا.

والعدوّ ما سُلِّط علينا إلا لضَعفِ توحيدنا لربنا وخوفنا من غيره سبحانه والتوحيد ليس

*******************•*******************

هو مجرد النطق بكلمة التوحيد فحسب، بل لابد من العمل بمقتضاه وبمدلُولِه في حياتنا العملية الواقعية، قال الله جلّ وهو: {إن الله لا يُغيِّر مَا بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفُسِهِم وإذا أرَاد الله بقَومٍ سُوءً فلا مَردّ لَه ومَا لَهُم من دُونِه مِنْ وّال} الرعد :12 .

نسأل الله أن يُوفِّقنا لصِدقِ التوكل عليه وأن نترجمه إلى واقِع عمَلِي في حياتنا اليومية، وأن يُطهِّر قُلوبنا من كل شوائب الشرك والتطيّر، وأن يتوفّانا على التوحيد الخالص

*******************•*******************

*********************•*******************

وأن يجعل ما كتبناه زادا لنا في طريق المسير إليه وعتادا إلى يوم القدوم عليه وهو بكل خيرٍ كفيل وهو حسبُنا ونِعْم الوكيل.

وكتبَه أبُو عمَاد الأثَرِي حَامِدا الله تعالى ومُصلِّيًا عَلى نَبيِّنا مُحمّد وآلِه وصَحبِهِ أجْمعِين قُبَيْل عصْر 22 من شَوّال 1435ه

•فِهرِس الموضوعات•

*******************•*******************

******************* • *******************